فروبل

مؤسس رياض الاطفال

ولد فردرك فروبل فى قرية ألمانية عام ١٧٨٢ م ومات عام ١٨٥٢ م ، وكان أبوه قسيساً مخلصاً لايحفل بشىء فى الحياة إلا بمهنته ، ونشأ فردرك يتيم الأم فقدتوفيت وعمره تسعة أشهر ، ففقد بفقدها ركناً عظيماً من أهم أركان حياته الأولى ، حتى دعته الحال إلى أن يقول : « لقد وضع على عاتقى نير عبء الحياة الثقيل المؤلم مبكراً ، حياة كلها خداع ، اجتمعت مع علم ناقص فوجدا فرصة للتمرن معى والتأثير فى »

والذى حدا فروبل إلى ذلك القول أنه كان مهملا فى حياته الأولى فلم يفهمه أحد ، كما كان محروماً من المواساة الأبوية التى تتطلبها طبيعة الطفل .

وبعد زمن ما تزوج والده بسيدة لم تحسن معاملته مطلقاً ، إذ كانت تذيقه من التعب ألواناً لم يكن يقوى على تذوقها ، وكانت تعاقبه وتهينه لأى هفوة وإن ضؤلت . وكان لمعاملتها هذه تأثير سيء فى أخلاقه ، حتى إنه كان يلجأ إلى الكذب ليتخلص منها .

على أن والده لم يفقد كل الحنان الأبوى ، فقد رأى أن من الواجب عليه أن يعلم ابنه مبادىء العلوم ، ولكنه كان شديداً لا صبر له ، فكانت نتيجة شدته أن خافه ولده حتى منعه ذلك الخوف من سرعة الفهم ، فظنه أبوه غبياً فتركه معتقداً أنه قد قام بواجبه نحوه وأن الولد غير قابل للتعليم .

وكان فروبل ينتهز فرصة فراغه ويهرع إلى قرية بجوار القرية التى يعيش فيها ليلعب بها ويمتع نظره بجمال الطبيعة منفرداً .

وهناك كان يشعر بحرية لا يمكن أن يشعر بها فى بيت أبيه ، ولقد كان لهذه الساعات الحلوة التى صرفها فروبل فى الغابة مدة طفولته تأثير عظيم فى نفسه . فقد ربت فيه قوة التفكير ، وعمق الفحص والاستقراء ، وسعة الخيال ودقة الملاحظة . ونشأ وحيداً يحب الخلوة ولا يرتاح إلى مخالطة الغير ، وكذلك نشأ ديناً مخلصاً ، فقد قال : « الطبيعة — وهى عالم النبات والأزهار — صارت مرآة لناظرى أتقلب فيه من مبدأ حياتى » ، وقال : « دينى وكنيستى ونسكى قد تحول كله إلى حياة دينية طبيعية »

ويرجع ذلك لعاملين :الأول تأثير البيئة التى وجد فيها حيث أبوه شديد الحرص على الفرائض الدينية . والثانى خلوه إلى نفسه فى الحقول والغابات حتى قربه هـذا من الطبيعة ، إذ أصبح يرى لكل شىء معنى خفياً .

استمر فروبل على هذه الحال حتى بلغ العاشرة من عمره ، وكان له خال ينظر إليه بعين الشفقة والحنو ، فأقلقه سوء حال الولد المسكين ، ومن ثم فكر فى حيلة يأخذ بها الولد برغبة والده ويتعهد تربيته ، فتم له ما أراد .

ولا يخفى أن ما وجده فروبل من بون بين العيشة فى منزل أبيه والعيشة فى منزل خاله كان شاسعاً جداً ،ففى الحال الأولى كان يعامل بالقسوة ولا يرى عطفاً من أحد ، وأما فى الثانية فكان يشعر بسعادة الطفولة وبحرية لم يسبق له بها عهد ، وأخيراً أدخله خاله المدرسة الأولية بالقرية ، ومن الغريب أنه مع حداثة سنه كان يفكر طويلا فى دروسه ، بل بلغ به الحد فى التفكير إلى نقد طرق معلميه ، ولكن أحداً من معلميه لم يلتفت إلى سعة عقله لعزلته عن رفاقه . وقد مكث فروبل عند خاله حتى بلغ السادسة عشرة من عمره .

هتاتر كمرسى :

بعد موت أبيه فى عام ١٨٠٢ م فكر فى الاشتغال بالفلاحة فى أرض والده ، ولكنه ترك هذه الفكرة بعد قليل ، وعمل بنصيحة بعض أصدقائه فاشتغل بالتدريس فى مدرسة فرنكفورت سنة ١٨٠٥ ، ولقد صح نظر أصحابه ، لأن تجاربه الأولى فى التعليم دلت على أن هذه هى مهنته المناسبة ، وقد سمع فروبل كثيراً عن (بستالتسى) حينئذ ، ولذلك اشتاق لرؤيته فزاره بفيردن بسويسرا ، واستغرقت هذه الزيارة أربعة عشر يوماً اشتغل أثناءها فروبل باهتمام زائد بالاطلاع على طرق التدريس وحالاته ، ولهذا قال :« إن كل ما رأيت كان منيراً وساراً ، مشجعاً ومدهشاً ، وكان انتقادى أن كل ما يعلم هناك كان معنوياً ، أى يستدعى إعمال الفكر فقط ، وكان سمعياً أكثر منه خصياً ، كما أنه كان بعيداً عن مدارك الأطفال » ، ومع ذلك فقد شعر فروبل بأن تجاربه كانت غير كافية للحكم على ملاءمة جميع أجزاء البرنامج أو عدمها ، وقد عاد إلى فرنكفورت وعزمه قوى على العودة بأسرع ما يمكن إلى عمله الخاص .

فلما عاد ثبت فى وظيفته وعهد إليه بإعادة النظر فى إصلاح شأن المدرسة كمساعد ، وبعد قليل صار جميع العمل الجديد فى قبضة يده ، وكان العمل يسير وفق برنامجه الجديد ناجحاً جداً ، ونال استحسان الرؤساء . وقد علم بنفسه الحساب والرسم والجغرافيا الطبيعية واللغة الألمانية ، وقد استعمل طرق بستالتسى العملية مقدراً أهمية الخبرة الشخصية والابتداء بالقريب ثم البعيد حتى قدرها ، وقد أضاف إلى واجباته المدرسية تعليم ثلاثة صبية لأحد الأغنياء

فعلمهم الحساب مستعملا جدول الوحدات البستالتسى، وعلمهم الألمانية مستعملا طرق بستالتسى أيضاً فى كتاب الأم ؛ ولكنه كان غير مقتنع بطريقة تعليم اللغة .

وكانت مدرسة فيردن قد بلغت أوج شهرتها ؛ فطلب فروبل من أولياء أمور تلاميذه أن يسمحوا له بأخذ الصبية إلى هذا المعهد العظيم ؛ فأذنوا له ؛ وهناك تأثر فروبل كثيراً بآراء بستالتسى وطرقه .

بعد أن عاد فروبل من زيارته الثانية لفردن فتح مدرسة صغيرة فى كوخ بسيط على ربوة . وبعد قليل رجع تلميذاً فى كلية جتنجن سنة ١٨١١، واهتم بدراسة اللغات والتاريخ الطبيعى ؛ وفى سنة ١٨١٢ تغيرت حياته مرة أخرى وذهب إلى كلية برلين . ومن سنة ١٨١٣ إلى سنة ١٨١٤ تطوع فى الحرب التى نشبت بين ألمانيا وفرنسا ؛ وقد أكسبه اشتراكه بها تجاريب عظيمة ، ومن الغريب أنه فى ساحة القتال اتخذ له صديقين كانا من أكبر أعوانه فيما بعد ؛ وهما لانجاتول Lengethaul وميدندورف Meddendorff ؛ ثم بعد انتهاء الحرب فى السنة الثانية ترك الجيش واشتغل بتحف الآثار ببرلين ؛ وهناك وجد فرصاً عظيمة للتفكير ، وكانت فكرته الأساسية دائماً هى إصلاح شعبه بواسطة تربية أفراده تربية صالحة .

وفى سنة ١٨١٦ ترك فروبل المتحف وفتح مدرسة صغيرة فى بلده جريسهيل ودعا إليه صديقيه — وفق اتفاقهم فى ساحة القتال — واشتغل الثلاثة فيها بالتدريس، ولما رأى فروبل نجاحه هو وصديقاه فى هذا المشروع نقلوا المدرسة إلى مدينة (كيلهاو Keilhau) ؛ وفى مدة وجيزة عظم شأن تلك المدرسة وقصدها الكثيرون من التلاميذ بنين وبنات ؛ ما بين العاشرة والثامنة عشرة ، وكان التعليم فى (كيلهاو) عملياً يختص بمعيشة التلاميذ ؛ ففى أوقات الفراغ من الدروس كان الصبية يشتغلون فى الحقول بالزرع وغيره، أما البنات فكن يشتغلن بالغزل والتسيج وطهى وإعداد الطعام ، وكان غرض فروبل الأساسى هو أن يجعل المدرسة طبق الأسرة، مكاناً مستقلا قائماً بنفسه ، حتى يشعر التلاميذ بمعنى الحياة العملية وبضرورة التضامن فى السعى طلباً للرزق . واشتهرت المدرسة ونجح المشروع رغم ما لاقاه فروبل وصديقاه من الصعوبة ، حيث لم يعنوا بإدارة شئونهم المادية عناية تامة .

وفى خلال تلك المدة بدأ فروبل يرتب أفكاره وأغراضه من التربية ؛ فوجد أن غرضه الأساسى هو إسعاد شعبه خاصة ، والمجتمع الإنسانى عامة . فرأى أن ذلك لا يكون إلا بتربية الأفراد ؛ ولما تحقق من ذلك أمعن التفكير فتيقن أن زمن الطفولة هو أهم طور فى حياة الفرد ، إذ فيه تتفتح جميع قواه وتستعد للقيام بما خلقت من أجله، فكانت نتيجة أبحاث فروبل أن ألف الذخيرة التى تركها للعربين وهى كتاب «تربية الانسان» Education of Mann سنة ١٨٢٦

وفى هذا الكتاب بين فروبل غرضه من تربية الطفل ،ثم وضع قوانينه الأساسية التى بنى عليها أفكاره وآراءه فى التربيـة ، ثم بين استخدام هذه القوانين الطبيعية فى تربية الطفل ، ومن ثم انتشرت آراؤه فى ألمانيا ، وأنشئت بعض المدارس على طريقته فى ألمانيا وسويسرا ، وبدأ ينشر أفكاره بواسطة الخطابة . وفى سنة ١٨٣٦ فتح أول معهـد للأطفال فى مدينة بلاكنبرج ، وأطلق عليه أسم « كندرجارتن» Kinder Gurten أى « رياض الأطفال»، وفى هذه الروضة طبق فروبل آراءه وطرقه التى بينها فى كتابه « تربية الانسان »

ولما وجد فروبل أن أكبر عامل فى تربية الطفل هو الأم فكر فى تمرين المعلمات على تربية الأطفال ، ومنذ انتشرت هذه الفكرة صارت المرأة هى التى تقوم بتربية الأطفال الصغار ، ومن ثم يمكننا أن نقف على مقدار تعمق فروبل فى التفكير فى خدمة الانسانية ، حيث درس طبائع الأطفال دراسـة مكنته من فهم أحسن الطرق لرعايتهم جسماً وعقلا وخلقاً .

ولسوء حظ فروبل اشتبهت الحكومة بين فروبل وولد لأخيه يدعى فردرك الأصغر ، ممن طرحوا الدين وراءهم ظهرياً فى ذلك العصر ، فأصدرت الحكومة الألمانية قانوناً باغلاق جميـع المدارس التى تسير على طرق فروبل فى سنة ١٨٥١ ، وفى السنة التالية توفى فروبل آسفاً حزيناً ، ولكن أفكاره وأعماله انتشرت بسرعة هائلة بفضل زملائه وبفضل سيدة كريمة تدعى « البارونه فون بيلو » التى وهبت حياتها ومالها للسعى فى نشر آرائه ، فسافرت إلى انجلترا وأمريكا وبعض البلاد الأخرى لهذا الغرض .

المعاهد التى اشتغل فيها بالتدريس:

١ — مدرسة فرنكفورت
٢ — معهد بستالتسى بفردن
٣ — مدرسة جريسهيل
٤ — معهد كيلهاو
٥ — روضة الأطفال ببلاكنبرج

فى العدد القادم

سنتكلم فى العدد القادم عن عمل فروبل فى هذه المعاهد بالتفصيل ، ثم نذكر مؤلفاته ونعرض لنقدها . ثم أسلوبه الكتابى . فمذلكة عن فلسفته .